ملتزم الطبع
دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

بيروت - لبنان ص.ب ٥٢٨٣/ ١٤ تلفون: ٦٤٦٧٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

اعلم أن مدح الرسول ﷺ فرادى وجماعة قربة إلى الله وعمل مقبول ليس بدعة سيئة كما تقول الوهابية ولا ينكره إلا بدعيٌّ جاهل، فقد ثبت مدح الرسول جماعة في حديثين صحيحين أحدهما حديث رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن الحبشة كانوا يزفنون في مسجد رسول الله ويقولون بكلام لهم: محمد عبد صالح فقال رسول الله: «**ماذا يقولون**» فقيل له إنهم يقولون محمد عبد صالح. وروى البزار في مسنده أن الحبشة كانوا يزفنون بين يدي رسول الله ويقولون أبا القاسم طيبًا، صححه الحافظ ابن القطان في كتابه النظر في أحكام النظر، فالرسول ﷺ لم ينكر جمعهم بين رقصهم ومدحه وقد قال علماء اللغة: الزَّفْن الرقص، ومدح الرسول عبادة.

وأما المدح الافرادي فمن ذلك ما رواه الحافظ السيوطي والحافظ ابن حجر وغيرهما أن العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله قال: قلت: يا رسول الله إني امتدحتك بأبيات، فقال رسول الله: **«قلها لا يَفْضُضِ الله فاك»** قال: فأنشدتها فذكر قصيدة أولها:

من قبلها طبتَ في الظّلال وفي مُستَودَعٍ حين يُخصَفُ الوَرق

وفيها أيضًا:

فنحن في ذلك الضياء وفي النُّـ ـور وسُبْلِ الرشاد نَخْتَرِقُ

وفي ءاخرها:

وأنت لما وُلدتَ أشرقت الأرض وضاءت بنُورك الأفقُ

قال الحافظ ابن حجر في الأماليّ: حديث حسن.

ويجوز مدحه عليه الصلاة والسلام مع نوع من اللهو كضرب الدف لما رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك أنّ النبيَّ ﷺ مرّ ببعضِ المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدفّهنّ ويتغنين ويقلنَ:

نحن جوار من بني النّجارِ يا حبّذا محمدٌ من جارِ

فقال النبي ﷺ: **«الله يعلم إنّي لأحبكنّ»**. قال الحافظ البوصيري في كتابه مصباح الزجاجة: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

هذا هو الحق الذي يعتقده المسلمون من أيام الرسول إلى الآن لكن هذه الوهابية التي ظهرت منذ مائتين وخمسين سنة قامت بإنكار مدح الرسول فصارت تشنع على من يمدح الرسول، كيف تجرؤوا على ذلك؟ لو كان فيهم فهم لعرفوا أن قول الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف] كافٍ في ذلك لأن معنى عزروه عظّموه، الله تبارك وتعالى مدح الرسول أحسن من مدح غيره قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة القلم]، وقيل: إنه رؤي بعض الصالحين بعد وفاته في المنام وكان معروفًا بإنشاد المدائح في الله تعالى فقيل له: لماذا لم تقل في مدح رسول الله مدحًا فقال:

أرى كل مدح في النبي مقصّرًا وإن بالغَ المُثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى في الكتاب المنزلِ عليه فما مقدار ما تمدحُ الورى

قاعدة

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في كتابه «أدب المريد»: «إذا علم المريد الخطأ على الشيخ فلينبهه، فإن رجع عن خطئه فذاك الأمر، وإلا ترك قوله واتبع الشرع»، وقال الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «سلّم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشرع، فإن خالفوا الشرع فاتركهم واتبع الشرع». وهذا موافق للحديث الصحيح الذي رواه الطبراني في الأوسط أن رسول الله ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله**»، وفي رواية: «**إلا النبي**»، حسَّنه الحافظ العراقي. ومعنى الحديث أن الصحابة ومن بعدهم من الأمة كل فرد لا بد أن يكون بعض كلامه في أمور الدين خطأً إلا النبي فإنه لا يجوز على النبي الخطأ في أمور الدين، فإذا عُرف هذا فلا يجوز أن يقال إنه لا يجوز في كلام ولي خطأ، فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه الذي شهد له رسول الله ﷺ بأنه محدَّثٌ اعترف على نفسه بالخطإ في مسئلة وهي أنه قال ذات يوم: «لا تغالوا في مهور النساء فإن بلغني أن أحدًا زاد في مهر امرأة على أربعمائة درهم أخذته ووضعته في بيت المال»، فقالت امرأة: ليس لك ذلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ﴿٢٠﴾﴾

[سورة النساء]، فصعد سيدنا عمر على المنبر فقال: «أيها الناس أنتم وشأنكم في مهور نسائكم، أصابت، امرأة وأخطأ عمر».

وعلى هذا جرت عادة الفقهاء، إذا علم أحدهم الخطأ في كلام أحدهم قال: وقول فلان غلط، حتى إن إمام الحرمين يقول في بعض كتبه: «قال والدي كذا وهو خطأ»، ووالده يقال له أبو محمد الجويني واسمه عبد الله ابن يوسف، وكان إمامًا جليلاً مبجلاً عظيم القدر، قال فيه بعض الناس: «لو كان بعد رسول الله نبي لكان أبا محمد»، وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «لطائف المنن والأخلاق»: «قال الإمام العلامة عمر بن محمد الإشبيلي الأشعري رضي الله عنه في كتابه المسمى بلحن العوام: وليحذر من العمل بمواضع من كتاب «الإحياء» للغزالي، ومن كتاب النفخ والتسوية له وغير ذلك من كتب الفقه فإنها إما مدسوسة عليه أو وضعها أوائل أمره ثم رجع عنها كما ذكره في كتابه المنقذ من الضلال» اهـ.

وقال الشيخ تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية» إن في كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي ثلاثمائة حديث لا أصل لها، فإذا عرف هذا فلا يلتفت إلى قول بعض الناس

إذا بين لهم أن في كتاب الشيخ فلان كذا وكذا من الخطإ يعاند ويقول: كيف يوجد خطأ في كتاب الشيخ فلان، وهذا جهل قبيح، قائله مخالف لحديث رسول الله المذكور ءانفًا. والدليل المنجي من هذا الجهل تحصيل العلم علم العقيدة وعلم الأحكام، ومن قصَّر في تعلّم علم الدين لا بد أن يقع في مهالك، فمن كان مقصرًا في علم الدين واشتغل بالأذكار والأوراد لا يسلم من المهالك، فقد وقفت على كلمة كفرية في كتاب ألفه رجل يقال له الشيخ نبراس وهي «اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وزير الله الأعظم» وهذا الرجل كنت أسمع من بعض من يعرفه تعظيمًا وتبجيلًا له، حتى إنه قال لي عن الشيخ نبراس، إن رسول الله لا يحتجب عنه طرفة عين، ومن هنا نسب بعض الناس إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه كلامًا باطلًا لا يليق بالشيخ عبد القادر من ذلك ما في كتاب «الفيوضات الربانية» الذي ألفه رجل من أهل بغداد يذكر فيه أن الشيخ عبد القادر قال قصيدتين ويذكر في إحداهما هذا البيت:

ولو أنني ألقيت سري على لظى لأطفئت النيران من عظم برهاني

وهذا لا يمكن أن يقوله الشيخ عبد القادر الجيلاني لأن الأولياء متأدبون مع الله، يحفظون ألسنتهم وجوارحهم عما يخالف الشرع ويعارضه.

الله تبارك وتعالى خلق نار جهنم للدوام والبقاء لا تفنى لحظة إلى أبد الآباد، وفي القصيدة الأخرى هذا البيت:

كل قطب يطوف بالبيت سبعًا وأنا البيتُ طائف بخيامي

وهذا الكلام باطل لا يقوله الشيخ عبد القادر، وفيه أيضًا كلام مكذوب عليه من جملة ما فيه من الباطل: إن الله تعالى خاطبه يا غوث الأعظم أكل الفقراء أكلي وشربهم شربي، جعله هذا المفتري الكذاب كأنه كليم الله كما أن موسى كليم الله، وكثير من المدعين محبة الرسول عليه السلام يكذبون عليه كما كذب هذا الشيخ نبراس.

وقد أخبرني عالم من علماء قبيلة عيسى أن شيخًا في ناحية أوغادين مشهور يقال له الشيخ عبد الله قطب جماعته يقولون هذا الكلام ويرددونه:

إن لشيخي تسعة وتسعين اسمًا كَسُمَى ذي الجلال في استجاب الدعاء

وهؤلاء شبهوا الشيخ عبد القادر بالله تعالى وهذا ضلال مبين.

وقد كذب على الشيخ عبد القادر فيما قبل هذا الوقت بنحو سبعمائة سنة رجل يقال له علي الشَّطْنُوفي عمل كتابًا سماه «بهجة الأسرار» كذب فيه على الشيخ عبد القادر

ونسب إليه كلامًا مفترًى، وهو الذي أشاع هذه الجملة: «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»، فحذارِ حذارِ من هؤلاء الذين يشتغلون بالأوراد والأذكار قبل أن يتعلموا علم العقيدة والأحكام.

واعلم رحمك الله أنه مع عظم فضل الصلاة على النبي ومدحه فالاشتغال بعلم الدين أفضل، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر لأن تغدوَ فتتعلم ءاية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتتعلم بابًا من العلم خير لك من أن تصلي ألف ركعة**» أي من النفل، وهو حديث ثابت حسن رواه ابن ماجه وغيره.

فهذا الحديث يدل على أن غدوَّ الشخص أي ذهابه إلى عالِم فيتعلم بابًا من العلم أفضل من ركعات التراويح والوتر في رمضان كله، لأن عددها في ثلاثين ليلة ستمائة وتسعين، فيكون معنى الحديث أن الذي يغدو إلى عالِم فيتعلم باب الاستنجاء أو باب التيمم أو باب الأذان أو باب غسل الجنابة أو باب الوضوء أو غير ذلك أفضل من هذه الركعات الستمائة والتسعين ركعة التي هي ركعات التراويح مع الوتر، وفضل الاشتغال بالعلم درجة عالية.

ثم إن كل الأعمال لا تقبل إلا أن توافق الشرع وموافقة الشرع وعدم موافقته لا يُعرف إلا بالعلم، فلأجل هذا ينبغي صرف أكثر الوقت في العلم، فالعلم هو الذي يُعرف به ما هو الأفضل ثم الأفضل من الأعمال، وصرف أكثر الوقت بالعلم خير من صرفه بالمدائح والصلاة على النبي والاشتغال بالمولد ونحو ذلك، فقد جاء في سنن ابن ماجه أن الرسول دخل المسجد فوجد حلقتين حلقةً تذكرُ الله وحلقةً يتذاكرون في العلم فجلس رسول الله ﷺ مع الحلقة التي يتذاكرون في العلم وقال: «**كلا المجلِسَين على خير ولكن هذا المجلِسُ أفضل**»، وقد قال الحافظ النووي رحمه الله: «إن الاشتغال بالعلم أولى ما أُنفقت فيه نفائسُ الأوقات» أي أفضل ما شُغِلت به الأوقات الطّيبة، فالعلمُ حياةُ الإسلام. وهو السلاح لدَفع شُبَه المفسدين من وهابية وغيرهم، فالرجل الذي لا يتَسَلَّح بسلاح العلم مهما كان متعبّدًا ومهما كان مكثِرًا للذكر فهو عُرضَةٌ لأن تشوِش الوهابية خاطره فتميله إليهم لأنهم يقولون قال الله تعالى كذا فيضعون الآية في غير محلها ويقولون قال رسول الله كذا فيضعون الحديث في غير محلّه، وقد يوردون الأحاديث الضعيفة والأحاديث الباطلة فمن ليس له علم بذلك يتبعهم أو يتشَكَّك يبقى حائرًا.

والعلم لا يؤخذ إلا من أفواه العلماء، ولا تكفي مطالعة الكتب بغير تلقّ من أفواه العلماء، بل كثير من الناس الذين يضلون سببه أنهم لا يتلقون علم الدين من أفواه العلماء بل يعتمدون على المطالعة في مؤلفات العلماء، قال الإمام الحافظ الفقيه الشافعي الخطيب البغدادي: «من أخذ الحديث من الكتب لا يسمى محدّثًا بل يسمى صحفيًا، ومن أخذ القرءان من المصحف يسمى مصحفيًا لا يسمى قارئًا»، وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه: «أفضل العلم العلم بالله ورسولهِ وأمورِ دينه» اهـ. وأهم العلوم علم العقيدة فقد قال العلماء: يجب على طريق فرض الكفاية أن يكون في المسلمين من يقوم ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة بدلائلها العقلية والنقلية لدفع تشكيكات المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ويجعلون الله جسمًا يسكن ويتحرك وينزل ويطلع، وإنه متحيز في جهة فوق، وإبطال عقيدة المعتزلة الذين يقولون العبد هو يخلق أفعاله الاختيارية ليس الله يخلقها.

واليوم توجد من المشبهة الوهابية الذين يقولون إن الله جسم قاعد على العرش ينزل بذاته كل ليلة إلى السماء الدنيا ويمكث في السماء الدنيا ثلث الليل الأخير ثم يرجع إلى السماء بعد طلوع الفجر، ويكفّرون من يتوسل بالرسول أو

الأولياء، ويكفّرون من يقول: يا محمد أو يا عبد القادر فيعتبرونه كافرًا حلال الدم، لذلك يقتلون الناس في الجزائر لغير سبب شرعي وفي الشيشان وفي اليمن وفي مصر، فإذا لم يوجد من يقدر على دفع شُبَهِ هؤلاء المشبهة والذين يقولون بقول المعتزلة بالدليل النقلي والدليل العقلي يؤثر هؤلاء على من لا يعرف الدليل فيخرجونهم من عقيدة الإيمان إلى عقيدة الكفر من حيث لا يشعرون. وقد قالت الوهابية منذ سنتين تقريبًا بالمدينة المنورة قال شيخهم المدرس: ثلاثة أرباع المسلمين كفار لأنهم يقولون: يا محمد، يا عبد القادر، فالذين يشتغلون بقراءة القرءان وكثرة الصلاة على النبي وكثرة الصلاة والتهجد لا يستطيعون ردَّ هؤلاء إنما يستطيع من أتقن عقيدة أهل السنة في تنزيه الله تعالى عن مشابهة شيء من خلقه وعقيدة أنه لا خالق إلا الله بالقرءان والحديث ودلائل العقل.

وقد ذكر أهل العلم أنه يشترط في حصول ثواب الصلاة على النبي تصحيح حرف الصاد مميزة عن السين، فمن لا يميّز بينهما في النطق فلا ينال ثواب الصلاة على النبي، كذلك يشترط عدم زيادة الياء في كلمة «صلّ» كما يزيد بعض الناس، قال العالم الفقيه طه عمر بن طه عمر الحضرميُّ الشافعيُّ الذي كان من أهل القرن الحادي عشر في كتاب المجموع لمهمات المسائل من الفروع (ص/ ٩٧)

ما نصه: «وقال عبد الله بن عمر: من قال في تشهده اللهم صلي بالياء لم يجزه ولو جاهلاً أو ناسيًا بل العامد العالم بالعربية يكفر به لأنه خطاب مؤنث» اهـ.

وهذا كثير في الحبشة يقولون اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد وعلى ءاله يزيدون ياء في صلّ بعد اللام فإن المعنى يتغير بزيادة الياء يكون تأنيثًا لله تعالى وهذا كفر.

والعناية بحفظ مخارج الحروف أمر مهم، فقد رأى سيدنا عمر رضي الله عنه رجلين يرميان الهدف فأصاب أحدهما وأخطأ الآخر فقال الذي أخطأ للذي أصاب: أسبت بالسين، فقال سيدنا عمر: «خطؤك في كلامك أشد من خطئك في الرماية»، لأن الرجل قال أسبت بالسين بدل أن يقول أصبت بالصاد، فإذا كان سيدنا عمر استقبح هذا الغلط في أمر الرماية بين اثنين فكيف الغلط في ذكر الله؟!

وقد ورد في فضل الصلاة على النبيّ أحاديث قوية الإسناد وأحاديث ضعيفة وأحاديث لا أصل لها، ومن الصحيح منها حديث: «**مَن صلى عليَّ مرةً صلى الله عليه بها عشرًا، ومن صلّى عليَّ عشرًا صلى الله عليه بها مائة**».

وحديث: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا**

عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ» رواه البخاري وغيره، وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سَرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ءال إبراهيم إنك حميد مجيد**».

وروى الحافظ السخاوي وغيره أن النبي ﷺ قال: «**من صلى عليَّ عصر يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عامًا**».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ذِي الصّفَاتِ العَلِيَّةِ، مُسْتَدِرًّا فَيْضَ البَرَكَاتِ عَلَى مَا أَنَالَهُ مِنَ الخَيْرِ وَأَوْلاهُ.

الله عَظَّمَ قَدْرَ جَاهِ مُحَمَّدٍ
وَأَنَالَهُ فَضْلًا لَدَيْهِ عَظِيمَا
فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ قَالَ لِخَلْقِهِ
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

وَأُصَلِّي وأُسَلِّمُ عَلى نَبِيّ الهُدَى المَوْصوفِ بالأَفْضَلِيَّةِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَمَن اتَّبَعَهُ بإحْسَانٍ وَاقْتَدَى بِشَرِيْعَتِهِ وَوَالاهُ، وَأَسْتَجْدِيهِ هِدَايَةً لِسلوكِ السُّبُلِ الواضحةِ الجَلِيّةِ، وحِفْظًا مِنَ الغَوَايةِ في خِطط الخَطَأ وخُطَاه، وَهَاكم مِن قِصَّةِ المَوْلِدِ النَّبَوِيّ بُرُودًا حِسَانًا عَبْقَرِيّة، نَاظِمًا مِنَ النَّسَبِ الشَّرِيفِ عقْدًا تَتَحَلّى المَسامِعُ

بِحُلاَه، وَأَسْتَعِينُ بِحَوْلِ الله تَعَالَى وَقُوَّتِهِ، فَإنه لا حَول وَلا قُوةَ إلا بالله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الأحزاب].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب].

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وعلى ءال سيدنا محمد المنزل عليه ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة].

بَيانُ نَسَبِهِ الشَّرِيف

عَطّر اللَّهُمَّ قَبْرَهُ الكَرِيم، بِعَرْفِ شَذِيّ مِنْ صَلاةٍ وَتَسْلِيم

فأقول هُوَ سيّدُنا مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ الله بْنِ عَبْدِ المُطّلِب واسمه شيْبةُ الحمْدِ حمدت خصالُهُ السَّنيّةُ، ابن هَاشِم وَاسمُهُ عَمْرُو بْنُ عبد مناف واسمه المغيرة بن قُصَيّ واسمه زيد بن كلاب ابنِ مرةَ بنِ كَعب بنِ لُؤيّ بْنِ غَالِبِ بنِ فِهْرٍ وَإليهِ تُنسَبُ البُطُونُ القُرَشِيَّةُ، وَمنْ فَوْقِهِ كنانيّ كَمَا جَنَحَ إِلَيْهِ الكَثِيرُ وَارْتَضَاه، ابنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَة ابْنِ إلياسَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَى البُدْنَ إِلَى الرّحَابِ الحَرَمِيَّة، ابنِ مُضَرِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَد ابْنِ عَدْنَانَ وَهَذا سِلْكٌ نَظَّمَتْ فَرَائِدَهُ بنان السنةِ السنيّة، وَرَفْعُهُ إِلَى الخَلِيلِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْسَكَ

عَنْهُ الشَّارِعُ وَأَبَاه، وَعَدْنَانُ بِلاَ رَيْبٍ عِنْدَ ذَوِي العُلُومِ النَّسَبِيّة إِلَى الذَّبِيحِ إِسْمَاعِيلَ نِسْبَتُهُ وَمُنْتَمَاه. فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ عِقْدٍ تَأَلَّقَتْ كَوَاكِبُهُ الدُرِّيَّة، وَكَيْفَ لا والسَّيِّدُ الأَكْرَمُ ﷺ وَاسِطَتُهُ المُنْتَقَاة.

نَسَبٌ تَحْسِبُ العُلاَ بِحلاهُ
قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الجَوْزاءُ
حَبَّذَا عِقْدُ سؤددٍ وَفَخارٍ
أَنْتَ فِيهِ اليَتِيمةُ العَصْمَاءُ

وَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ نَسَبٍ طَهَّرَهُ الله تَعَالَى مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّة، أَوْرَدَ الزَّيْنُ العِرَاقيُّ وَارِدَهُ فِي مَوْرِدِهِ الهَنِيّ وَرَوَاه:

حَفِظَ الإِلٰهُ كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ
ءابَاءَهُ الأَمْجَادُ صَوْنًا لاسمِهِ

تَرَكُوا السِّفَاحَ فَلَمْ يُصِبْهُمْ عَارُهُ
مِنْ ءادمٍ وإِلَى أَبِيهِ وأُمِّهِ

سُرَاةٌ سَرَى نُورُ النُّبُوَّةِ فِي أَسَارِيرِ غُرَرِهِم البَهِيَّة، وَبَدَرَ بَدْرُهُ فِي جَبِينِ عَبْدِ المُطَلِبِ وابْنِهِ عَبْدِ الله.

عَطّر اللهُمَّ قَبْرَهُ الكَرِيم

بعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلاَةٍ وَتَسْلِيم

البشائرُ الدالةُ على رِفْعةِ شأنه

وَلَمّا ءان بروز حَقِيْقَتِهِ المُحمدية، وإظهارُه جِسْمًا وَرُوحًا بِصُورَتِهِ وَمَعناه، نَقَلَهُ إلى مقرّهِ من صَدَفَةِ ءامِنَةَ الزّهْرية، وَخَصَّهَا القَرِيبُ المُجِيبُ بأنْ تَكُونَ أُمًّا لِمُصْطَفاه، وَنُودِيَ في السمٰواتِ والأَرضِ بِحَمْلِهَا لأنوارِهِ الذّاتيّة، وَصَبَا كُلُّ صَبّ لهبُوبِ صباه، وكُسِيَتِ الأرضُ بَعدَ طولِ جَدْبها مِن النباتِ حُلَلاً سُنْدُسِيّة، وَأَيْنَعَتِ الثمارُ وأعْطَى الشجرُ لِلْجاني جَنَاه، واحْتستِ العوالمُ من السرورِ كأسَ حميّاه، وبشرتْ هَوَاتِفُ الجِنّ بِإظْلاَلِ زَمَنِهِ وَانْتُهِكَتِ الكَهَانةُ وَرَهِبَتِ الرَّهْبَانِيَّةُ، وَلهجَ بِخَبَرِهِ كُلُّ حَبْرٍ خبيرٍ وفي حُلا حُسْنِهِ تَاه، وأُتِيَتْ أُمُّهُ في المنامِ فقيلَ لها إنك قَدْ حَمَلْتِ بسيّدِ العالمينَ وخير البَرِيّة، فَسَمّيهِ إذا وَضَعْتِيهِ مُحَمَّدًا فَإِنَّهُ سَتُحْمَدُ عُقْبَاهُ.

قالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ مِمَّنْ أَلَّفَ فِي قِصّةِ المَوْلِدِ الشَّرِيفِ:

حَمَلَتْ ءامنةُ بِنْتُ وَهْبٍ بِرَسُولِ الله ﷺ عشِيَّةَ الجُمُعَةِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَإن ءامنةَ لَمَّا حَمَلَتْ بِرَسُولِ الله ﷺ كانتْ تَرَى الطُّيورَ عَاكِفَةً عَلَيْهَا إِجْلالا للذي فِي بَطْنِهَا، وكانَتْ إِذَا جَاءَتْ تَسْتَقي مِن بئرٍ يَصْعَدُ المَاءُ إليْهَا إلى رَأْسِ البِئْرِ إِجْلالا وَإِعْظَامًا لرسولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَتْ بِذَلك زَوْجَهَا عَبْدَ الله فَقَالَ: هَذِهِ كَرَامَةٌ لِلمَوْلودِ الذي في بَطْنِكِ، قَالَتْ: وَكُنْتُ أَسْمَعُ تَسْبِيحَ المَلائِكَةِ حَوْلِي وَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: هَذا نُورُ السيّدِ الرَّسولِ ثُمَّ رَأَيْتُ فِي المَنَام شجرة وَعَلَيْهَا نُجومٌ زَاهِرَةٌ بَيْنَهُنَّ نَجْمَةٌ فَاخِرَةٌ أَضَاءَ نُورُهَا عَلَى الكُلّ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَاظِرَةٌ إِلى نُورِهَا وَاشْتِعَالِهَا إذ سَقَطَتْ في حِجْرِي

وَسَمِعْتُ هَاتفًا يقولُ هَذا النَّبيُّ السَّيدُ الرَّسُولُ، ثمّ أَتاني مَلَكٌ وَمَعَهُ وَرَقَةٌ خَضْرَاءُ فَقَالَ: إنكِ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيّدِ المُرْسَلِينَ وَنَبِيّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: فَانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمِي مَرْعُوبَةً وَحَدّثْتُ بِذَلكَ زَوْجي فَقَالَ: قُومي إِلَى خَليفَةَ بنِ عَتّابٍ يُفَسّر لَكِ هَذَا المَنَامَ، قَالَتْ فأتيتُ إليه وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ هذا المنام فقَالَ: الشَّجَرَةُ إبراهيم الخَلِيلُ وَالنُّجُوم الزاهرةُ هُمُ الأَنْبيَاءُ مِنْ أَوْلاده والنَّجْمَةُ الفَاخِرَةُ التي علا ضَوْؤُهَا عَلَى الكُلّ فَهُوَ نبي يظهر في هذا الزَّمَانِ يُكَسّرُ الأَوْثَانَ وَيَعْبُدُ الرَّحمٰنَ، وَأَمَّا سُقُوطُهَا في حِجْرِك فَسَوْفَ تَلِدِينَهُ وَسَيَعْلو مكانُهُ وَيَنْتَشِرُ فِي المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ بُرْهَانُه، فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَرِحَةً مَسْرُورَةً. وَمَرِضَ عَبْدُ الله وماتَ بِالمَدِينَةِ ولآمِنَةَ سِتَّةُ أَشْهُرٍ وَهِيَ حَامِلٌ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَمَاتَ عبْدُ الله وَكَانَ عُمُرُهُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً

كَمَا صَحَّحَهُ الحَافِظُ صَلاَحُ الدّينِ العَلائِيُّ، وَلَمَّا مَاتَ ضَجَّتِ المَلاَئِكَةُ إِلَى بَارِيهَا وَقَالَتْ: إلٰهنا يَبْقَى نَبِيُّكَ وَحَبِيبُكَ يَتِيمًا، قَالَ الله تَعَالَى[1]: «يَا مَلاَئِكَتِي أنا أَوْلَى بِحِفْظِهِ مِنْ أُمّهِ وَأَبِيهِ، وَأَنَا خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ وَمُرَبّيه، ومُظْفره عَلَى أَعَادِيهِ، وَلِي تَدْبِيرُ ذَلِكَ وَأَنَا عَلَى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ»، وَلَمَّا حَمَلَتْ ءامِنَةُ بِرَسُولِ الله ﷺ ظَهَرَ صَفَاءُ يَقِينِهَا، وانْطَوَتِ الأَحْشَاءُ عَلَى جَنْبَيْهَا، وَسَطَعَ نُورُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى جَبِينِهَا، قَالَتْ ءامِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ: لَمَّا كَانَ أَوَّلُ شَهْرٍ مِنْ شُهُوري شَهْرِ الله رجب، فبينما أَنَا ذَاتَ لَيْلَة إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ طَيّبُ الرَّائِحَةِ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى فُؤَادِي وَيَقُولُ: مَرْحَبًا مَرْحَبًا

(١) اعلم أن كلام الله الذي هو صفة ذاته ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة لأن هذا من صفات الخلق. لكن جبريل عليه السلام يسمع كلام الله الذي ليس حرفًا ولا صوتًا فيفهم منه الأوامر قل لمحمد كذا قل للملائكة كذا فينفّذ.

بِكَ يَا مُحَمَّد، فَقُلْتُ لَهُ: سَيّدي مَنْ أَنْتَ؟ قال: أَنَا ءادَمُ، فَقُلْتُ: مَا تُرِيدُ يَا أَبَا البَشَرِ؟ قَالَ: أَبْشِرِي يَا ءامِنَةُ بِسَيّدِ البَشَرِ، وَفَخْرِ رَبيعةَ وَمُضَر، وَمَنْ يَنْشَقُّ لَهُ القَمَرُ، وَيَسلّمُ عَلَيْهِ الحَجَرُ، وَيَسْعَى إلى خِدْمَتِهِ الشَّجَرُ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ جَلِيلُ القَدْرِ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى فُؤَادِي وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيلَ الله، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ الله، قُلْتُ لَهُ: سَيّدِي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا شِيثٌ، قُلْتُ: وَمَا تُرِيدُ يَا شِيثُ؟ قَالَ: أَبْشِرِي يَا ءامِنَةُ فَقَدْ حَمَلْتِ بِالنَّبِيّ الكَرِيم، وَالسَّيّدِ العَظِيم، الضَّبُّ له يُكَلّمُ، وَالحَجَرُ لَهُ يُسَلّمُ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ لَهُ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ، وَعَلَيْهِ ضِيَاءٌ وَأَنْوَارٌ، وَهُوَ يُشِيرُ

بِيَدِهِ إلى فُؤَادِي وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُزَّمّل، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُدَّثّر، قُلْتُ لَهُ: سَيّدِي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا النَّبِيُّ إِدْرِيس، فَقُلْت: وَمَا تُرِيدُ يَا إِدْرِيسُ؟ قَالَ: أَبْشِرِي يَا ءامِنَةُ فَقَدْ حَمَلْتِ بِالنَّبِيّ الرَّئِيسِ، وَالجَوْهَرِ النَّفِيسِ، صَاحِبِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ الرَّابِع دخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ أَسْمر، مَلِيحُ المَنْظَرِ، وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى فُؤَادِي وَيَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا صَادِقُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ الكَرِيم الخَالِقِ، فَقُلْتُ لَهُ: سَيّدي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نُوحٌ، فَقُلْتُ: وَمَا تُرِيدُ يَا نُوحُ؟ قَالَ: أَبْشِرِي يَا ءامِنَةُ فَقَدْ حَمَلْتِ بِالنَّبِيّ المَمْنُوحِ، صَاحِبِ النَّصْرِ وَالفُتُوحِ، الذِي ذَكَاؤُهُ فِي الآفَاقِ يَفُوحُ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ الخَامِسِ دَخَلَ عَلَيَّ

رَجُلٌ حُسْنُهُ مُكَمَّلٌ، وَوَجْهُهُ مُجَمَّلٌ، وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلى فُؤَادِي وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا زَيْنَ المُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ المُتَّقِينَ، قُلْتُ لَهُ: سَيّدي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيُّ الله هُودٌ، قُلْتُ وَمَا تُرِيدُ يَا هُودُ؟ قَالَ: أَبْشِري يَا ءامِنَةُ فَقَدْ حَمَلْتِ بِالنَّبِيّ المَسْعُودِ، وَالرَّسُولِ المَحْمُودِ، صَاحِبِ الكَرَمِ وَالجُودِ، وَاللواءِ المَعْقُودِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ السَّادِسِ دَخَلَ عَليَّ رَجُلٌ جَلِيلُ المِقْدَارِ كَثيرُ الأَنْوَارِ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى فُؤَادِي وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حبيب المَحْبوبِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يا بُغْيَةَ المَطْلُوب، فَقُلْتُ لَهُ: سَيدي من أنت؟ قال أنا إبراهيم الخَلِيلُ، قلتُ: مَا تريدُ يا إبْرَاهِيمُ؟ قالَ: أَبْشِري يا ءامنَةُ فَقَدْ حَمَلْتِ بِالنَّبِيّ الجَلِيلِ وَالرَّسُول الفضيل، ثُمَّ انصرف.

فلما كانَ في الشَّهْرِ السَّابِعِ دَخَلَ عليَّ رَجُلٌ أَمْلَحُ، ووجهه من البَدْرِ أَصْبَحُ، وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى فؤادِي وَيقولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ الإِلهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَظِيمَ الجَاهِ، فَقُلْتُ لَهُ: سَيّدِي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنا أَبُوهُ إِسْمَاعِيلُ الذَّبِيحُ، فَقُلْتُ لَهُ: سَيّدِي وَمَا تُرِيدُ قَالَ: أَبْشِرِي يَا ءامِنَةُ فَقَدْ حَمَلْتِ بِالنَّبِيّ المَلِيحِ، صَاحِبِ النَّسَبِ الصَّحِيحِ، وَاللسَانِ الفَصِيحِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ الثَّامِنِ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ طَوِيلُ القَامَةِ، مَلِيحُ الهَامَةِ، وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى فُؤَادِي وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الأَبْرَارِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ المَلِكِ الجَبَّارِ، فَقُلْتُ لَهُ: سَيّدِي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى بنُ عِمْرَانَ، فَقُلْتُ: وَمَا تُرِيدُ يَا

مُوسَى؟ قَالَ: أَبْشِرِي يَا ءامِنَةُ فَقَدْ حَمَلْتِ بِمَنْ يُنزَّلُ عَلَيْهِ القُرءانُ، ويُكَلِّمُهُ[1] الرَّحْمٰنُ، وَيُزَيَّنُ بِهِ الثَّقَلَانِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ التَّاسِعِ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ لابِس الصّوفِ، وَهُوَ بِالعِبَادَةِ مَوْصُوفٌ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى فُؤَادِي وَهُوَ يقولُ: السلامُ عليكَ يَا زين الخلائق، السلامُ عليكَ يا مظهرَ الحقائِق، فقلت له: سيّدي مَن أنتَ؟ قال أنا عيسى ابنُ مريم، فقلتُ: ما تريد يا عيسى؟ قال أبْشِري يا ءامنة فقد حَمَلتِ بالنبي الأكْرَم، والعَطُوفِ الأرْحَم، وفي هذا الشهر تضعين محمدًا ﷺ.

فلما دخل شهر ربيع الأول في اثنتي عَشْرَةَ ليلة خلت منه وهي ليلة الاثنين من الليالي البيض اللاتي ليس فيهن ظلام، وكان عبد

(١) أي يُسْمعه كلامه الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة.

المطلب قد خرج يطوف بالبيت هو وأولاده ولم يبق عند ءامنة ذَكَر ولا أنثى وقد أغلق عبد المطلب عليها الباب خوفًا عليها من طارق يطرقها، قالت ءامنة: وبقيت في المنزل وحيدة إذ سمعتُ حركة بين السماء والأرض ورأيت ملَكًا عظيمًا بيده ثلاثة أعلام، فنشر الأول على مشرق الأرض، والثاني على مغربها، والثالث على البيت الحرام، قالت ءامنة: لما كانت الليلة الثانية عشرة من شهر ربيعِ الأول أحسستُ بالذي في بطني يريدُ النزول فلحقني البكاءُ لوَحدتي في المنزل وليس عندي أحدٌ فنظرتُ إلى ركنِ المنزلِ وقد ظهر منه أربعُ نساءٍ طوالٍ كأنهن الأقمارُ مُتّزراتٍ بأُزُرٍ بيضٍ يفوحُ الطيبُ من أعطافهن، فقلت لهن: من أنتن اللاتي مَنَّ الله عليَّ بكُنَّ في وَحدتي، وَفَرَّج بكنَّ كربتي؟ قالت

الأولى: أنا مريمُ بنتُ عمران والتي على يسارك سارةُ زوجةُ إبراهيمَ والتي تناديكِ من خلفكِ هاجرُ أمُ إسمٰعيلَ الذبيحِ والتي أمامَك ءاسيةُ بنتُ مزاحم امرأةُ فرعون، فاستبشرْتُ بهنَّ وفرحتُ فرحًا عظيمًا. فتقدمتِ الأولى وقالتْ: أبشري يا ءامنةُ من مثلُكِ وقد حملتِ بسيدِ أهلِ الأرضِ والسماء، ومصباحِ الدنيا وخاتَمِ الأنبياء، والحبيبِ المصطفى ثم جلست عن يميني. ثم تقدمت الثانية وقالت: من مثلُك يا ءامنةُ فقد حملتِ بالحبيب الأعلى، وَالمُشَفَّعِ في الخلق غدًا، أفضلِ من وَطِىءَ الثرى والحصى. ثم تقدمتِ الثالثة وقالت: يا ءامنةُ نهنئك بسيدِ البشر، وفخرِ ربيعة ومضر، ومن ينشقُّ له القمر، ويكلمهُ الشجرُ والحجرُ ثم تقدمت الرابعة وهي أكبرهن هيبة وأكثرهن بهجة ونادت: يا ءامنةُ مَن مثلُكِ وقد خُصصت

بالمبعوث بالفضائل والمفاخر، صاحب المعجزات والمآثر، ثم جلسَتْ بين يدي وقالت: ألقي بنفسك عليَّ، وميلي بكليتك إليَّ، قالت ءامنةُ: فجعلتُ أنظرُ إلى أشباحٍ يدخلون عليَّ أفواجًا يهنئونني وأنا حيرانةٌ وهم يخاطبونني بخطاب لم أسمع قط أحلى منه ولا أرق.

وَأَنْشَدَ لِسَانُ الحالِ:

يا رَبَّنا مُنْشِىءَ الأشْيَاءِ مِن عدَمِ
صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَن عِشْقه يَجبُ
رَاقَ الزَّمَانُ فَزَالَ الهَمُّ وَالنَّصبُ
وَاخْتَفَى الشّرْكُ وَالعصْيَانُ وَالرّيَبُ

وَأَصْبَحَ الكَوْنُ فِيْ يُسْرٍ وَفِيْ فَرَجٍ
يَقُولُ قَدْ جَاءَ مَنْ بِالفَخْرِ[1] يَنْتَسِبُ
هَذَا أَوَان تَمَامِ الحَمْلِ مِنْهُ وَمَا
بَقِي سوَى أَنَّهُ بِالوَضْعِ يَقْتَرِبُ
هَذَا الَّذِي لا يُضَاهَى فِي مَحَاسِنِهِ
وَمِنْ سنَاهُ مَعَالي الفَضْلِ تُكْتَسَبُ
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيْكٍ فِي مَحَاسِنِهِ
فَعَنْهُ بَدْرُ الدُّجَى فِي الحُسْنِ يَحْتَجِبُ
يا أكملَ الخَلْقِ يَا مَنْ لا مُضَاهِيَ لَهْ
يَا كَامِلَ الحُسْنِ أَنْتَ السُّؤْلُ وَالأَرَبُ
جَمَعْتَ فِي الحُسْنِ أَوْصافًا كَمَا جُمِعَتْ
لَكَ المَلاحَةُ يا مَنْ عِشْقُهُ يجبُ
أَنْتَ المُرادُ وأَنْتَ القَصْدُ أَجْمَعُهُ
يَا مَنْ لَهُ كَرَمٌ يَا مَنْ لَهُ رُتَبُ

(١) الفخر: الفضل.

صَلَّى عَلَيْكَ إِلهُ العَرْشِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسُ النَّهَارِ وَمَالَ الظِّلُّ يَغْتَرِبُ

قَالَتْ ءامِنَةُ: وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ رَأَيْتُ الشُّهبَ تَتَطَايَرُ يَمِيْنًا وَشِمَالا، وَرَأَيْتُ المَنْزِلَ قَدِ اعْتَكَرَ عَلَيَّ بأَصْوَاتٍ مُشْتَبِهَاتٍ وَلُغَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ فَأَوْحَى الله تَعَالَى إِلى رِضْوانَ: يَا رِضْوَانُ زَيِّنِ الجِنَان، وَصُفَّ عَلَى غُرَفِهَا الحُورَ والوِلْدَان، فَتَبادَرَتْ بِزِينَتِهَا الحُورُ الحِسَان، وَأَشْرَفَتْ مِنْ غُرَفِ الجِنَانِ وَأَزْهَرَتِ الأَوْرَاقُ وَالأَشْجَارُ وَالأَغْصَان، وَقَطَرَتْ قَطَرَاتُ الرَّحْمَةِ عَلَى أَوْرَاقِ الأَفْنَان، وَاهْتَزَّ العَرْشُ طَرَبًا، وَمَالَ الكُرْسِيُّ عَجَبًا، وَخَرَّتِ المَلاَئِكَةُ سُجَّدًا وَمَاجَ الثَّقَلاَن، وأظهر سرّه المَلِكُ الدَّيَّانُ[1] المنزهُ عن السكون والحَرَكَةِ والانتقَال والمكان، تَعَالَى رَبُّنَا ذُو الجَلاَلِ.

(١) الديان الذي يجزي المؤمنين بالجنة ويجزي الكفار بالعذاب.

ثُمَّ إنَّ الله تَعَالَى أَوْحَى إِلَى جِبْرِيلَ أَنْ صُفَّ أَقْدَاحَ رَاحِ الشَّرَاب، لِلْكَوَاعِبِ الأتراب، وانْشُر نوَافِحَ المِسْك الذَّكِيَّةِ، وَعَطِّرِ الكَوْن بالرَّوائِحِ الطَّيِّبةِ الزَّكيَّةِ، وَافرُشْ سَجَّادَةَ القُرْبِ وَالوِصَال، لِلْمُصْطَفَى المُصَلِّي فِي مِحْرَابِ الكَمَال، وَقِيلَ يَا مالِكُ أغلِقْ أَبْواب النّيرَان، وَصَفِّدِ الشَّيَاطِينَ لِهُبُوط الملائكَة المُقَرَّبين، وَنُودِيَ فِي أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ فَهَبَطَ الأمِينُ إلى الأرْضِ بِالمَلاَئِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَقَدْ حَجَبَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنَ الكَافُورِ الأَبْيَض، فَرَجَعَتْ بِرِيَاحِ الرَّحْمَةِ مِنْ مجاري سحب الكَرَامَةِ تَرْبَض، وَرَفْرَفَتِ الأَطْيَار، وَجَاءَتِ الوُحُوشُ مِنَ القفَار، وَكُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِ المَلِكِ الجَبَّار.

قَالَتْ ءامِنَةُ وَلَمْ يأخُذْنِي مَا يَأخُذُ النّسَاء مِنَ الطَّلْقِ إلا أنّي أَعْرَقُ عَرَقًا شَدِيدًا كَالمِسْكِ

الأذْفَرِ لَمْ أَعْهَدْهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي، فَشَكَوْتُ العَطَشَ، فَإذا بِمَلَكٍ نَاوَلَنِي شُرْبَةً مِنَ الفِضَّةِ البَيْضَاءِ فِيهَا شَرَابٌ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَذْكَى رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ الأَذْفَرِ، فَتَنَاوَلْتُهَا فَشَرِبْتُهَا فَأَضَاءَ عَلَيَّ مِنْهَا نُورٌ عَظِيمٌ، فَحِرْتُ لِذَلِكَ وَجَعَلْتُ أَنظُرُ يَمِينًا وَشِمَالا وَقَدِ اشْتَدَّ بِيَ الطَّلْقُ، فَبَيْنَمَا أَنا كَذَلِكَ فَإذَا أَنَا بِطَائِرٍ عَظِيمٍ أَبْيَضَ قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ وَأَمَرَّ بَجَانِبَةِ جَنَاحَيْهِ عَلَى بَطْنِي وَقَالَ: انْزِلْ يَا نَبِيَّ الله ﷺ فَأَعَانَنِي عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى تَسْهِيلِ الوِلادَةِ فَوضَعْتُ الحَبِيْبَ مُحَمَّدًا ﷺ فَانْجَلَى حِنْدِسُ الظُّلَمِ وَنَطَقَ لِسَانُ حَالِهِ يُنْشِدُ وَيَقُول:

المُصْطَفَى خيرُ العَوَالِم أَحْمَدُ
يَا سَادَتِي صَلُّوا عَلَيْهِ لِتَسْعَدُوا
صَلَّى عَلَيْكَ الله يَا عَلَمَ الهُدَى
يَا مَنْ لَهُ اسْمُه أَحْمَدٌ وَمُحَمَّدُ

وُلِـدَ الـحَـبِـيـبُ وَخَـدُّهُ مُـتَـورّدُ
وَالـنُّـورُ مِـنْ وَجـنَـاتِـهِ يَـتَـوَقَّـدُ
جِـبْـرِيـلُ نَـادَى فِـي مَـنَـصَّـةِ حُـسْـنِـهِ
هَـذَا مَـلِـيـحُ الـوَجْـهِ هَـذَا الأَوْحَـدُ
هَـذَا جَـمِـيـلُ الـنَّـعْـتِ هَـذَا الـمُـرْتَـضَى
هَـذَا جَـلِـيـلُ الـوَصْـفِ هَـذَا أَحْـمَـدُ
هَـذَا الـوَفِـيُّ بِـعَـهْـدِهِ هَـذَا الـذِي
مَـنْ قَـدّهُ يَـا صَـاحِ غُـصْـنٌ أَمْـلَـدُ
هَـذَا الـذِي خُـلِـعَـتْ عَـلَـيـهِ مَـلَابِـسٌ
وَنَـفَـائِـسٌ فَـنَـظِـيـرُهُ لا يُـوجَـدُ
قَـالَـتْ مَـلَائِـكَـةُ الـسَّـمَـاءِ بِـأَسْـرِهِـمْ
وُلِـدَ الـحَـبِـيـبُ وَمِـثْـلُـهُ لا يُـوْلَـدُ
وُلِـدَ الـذِي لَـوْلاهُ مَـا ذُكِـرَتْ قُـبَـا
أَبَـدًا وَلا كَـانَ الـمُـحَـصَّـبُ يُـقْـصَـدُ
يَـا عَـاشِـقِـيـنَ تَـوَلَّـهُـوا فِـي حُـسْـنِـهِ
فَـبِـحُـبِّـهِ مِـنْ نَـارِ مَـالِـكِ تُـنْـقَـذُ

يَـا مَـوْلِـدَ الـمُـخْـتَـارِ كَـمْ لَـكَ مِـنْ ثَـنَـا
ومـدائـحِ تَـغْـلُـو وَذِكْـر مُـوْجَـدُ

قَالَتْ ءامِنَةُ: لَقَدْ عَلَقْتُ بِهِ فَمَا وَجَدْتُ لَهُ مَشقَّة حتَّى وضعتُهُ فَلَمَّا خَرَجَ منّي خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أضاءَ لَه المشرِقُ والمغْربُ. وَوُلِدَ ﷺ مَكْحُولا مَدْهُونًا مَسْرُورًا مَخْتُونًا، وَحِينَ وُلِدَ سَارَعَتْ إلى طلْعَتِهِ المُبَارَكَةِ ثَلَاثَةٌ مِنَ المَلائِكَةِ مَع أَحَدِهِمْ طَسْتٌ مِنَ الذّهَب وَمَعَ الثّانِي إِبْرِيقٌ مِنَ الذَّهَبِ وَمَع الثَّالِثِ مِنْديلٌ مِنَ السُّنْدُسِ الأَخْضَرِ وَغَسَّلُوهُ بِمَاءِ الرَّحِيقِ وَأَنْشَدَ لسَانُ الحَالِ:

يَـا رَبَّـنَـا يَـا إِلـٰهِـي خَـالِـقَ الـبَـشَـرِ
صَلّ وسلّمْ عَلَى الْمُخْتَارِ مِن مُضَرِ
يَـا لَـيْـلَـةَ الـمَـوْلِـدِ الـزَّهْـرَاءِ كَـم شَـرَفًـا
حَوَيْتِ بِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ

يَا لَيْلَةً مَا تُجَارى فِي فَضَائِلِهَا
لأَنَّهَا فِي اللَيالي غُرّةُ القَمَرِ
يَا لَيْلَةً مَا لَهَا فِي الدَّهْرِ ثَانِيَةٌ
لأَنَّ جَوْهَرَهَا فَرْدٌ لِذِي النَّظَرِ
يَا لَيْلَةً مِنْ سَنَاهَا قَدْ حَوَتْ شَرَفًا
بِالمُصْطَفَى سَيّدِ الأَمْلَاكِ وَالبَشَرِ
إِنْ كَانَ مُوسَى سَقَى الأَسْبَاطَ مِنْ حَجَرٍ
فَإِنَّ فِي الكَفّ مَعْنًى لَيسَ فِي الحَجَرِ
إِنْ كَانَ عِيسَى بَرَا الأَعْمَى بِدَعْوَتِهِ
فَكَمْ بِتَفْلَتِهِ قَدْ رَدَّ مِنْ بَصَرِ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهُ العَرْشِ مَا صَدَحَتْ
وُرْقُ الحَمَامِ وَهَبَّتْ نَسْمَةُ السَّحَرِ

قَالَتْ ءامِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ: فَلَمَّا وَضَعْتُ رسولَ الله ﷺ رَأَيْتُهُ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ مُشِيرًا بإصبَعه، فَاحْتَمَلَهُ جِبْرِيلُ وَطَارَتْ به المَلائِكَة، وَلَفَّهُ مِيكَائِيلُ في ثَوْب أَبْيَضَ مِنَ الجَنَّة،

وأَعْطَاهُ إِلَى رِضْوَانَ يَزُفُّه كَمَا يَزُفُّ الطيرُ فَرْخَه، وَكُنْتُ أَنْظُرُ إليهِ كَأَنَّه يقولُ زِدْني، فَقَالَ لَهُ رِضْوَان: يَكْفِيكَ يَا حَبِيبَ الله، فَمَا بَقِيَ لِنَبِيّ عِلْمٌ وَحِلْمٌ إلا أُوتيتَهُ، فَاسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى مَنْ قَالَ مَقَالَتَكَ وَاتبَّعَ شَرِيعَتَكَ، يُحْشَرُ غَدًا في زُمْرَتِكَ، وَإِذَا مُنَادٍ يُنَادي: طُوفُوا بِهِ مَشارِقَ الأَرْضِ وَمغارِبَها، وَاعْرِضُوهُ عَلَى مَوَالِدِ[1] الأَنْبِيَاء، وأَعْطُوهُ صَفْوةَ ءادم، ومَعْرِفَةَ شِيث، ورِقَّةَ نُوحٍ، وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيم، وَرِضَا إِسْحَاقَ، وَفَصَاحَةَ إِسْمَاعِيلَ، وَحِكْمَةَ لُقْمَانَ، وَصَبْرَ أَيّوب، وَنَغْمَةَ دَاوُدَ، وَقُوَّةَ مُوسَى، وزُهْدَ عِيْسَى، وَفَهْمَ سُلَيْمَان، وَطِبَّ دَانْيالَ، وَوَقَارَ إِلْيَاسَ، وَعِصْمَةَ يَحْيَى، وَقَبُولَ زَكَرِيَّا، وَاغْمِسُوهُ فِي أَخْلَاقِ النَّبِيّينَ كُلّهِمْ وَأَخْفُوهُ عَنْ أَعْيُنِ العَالَمِينَ، فَهُوَ حَبِيبُ رَبّ العَالَمِينَ،

(١) أي المكان الذي وُلد فيه النبيون.

فَطُوبَى لِحِجْرٍ ضَمَّهُ، وَطُوبَى لِثَدْيٍ أَرْضَعَهُ، وَطُوبَى لِبُيُوتٍ سَكَنَها، فَقَالَتِ الطَّيْرُ نَحْنُ نَكْفَلُهُ، وَقَالَت المَلَائِكَةُ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ وَقَالَتِ الوُحُوشُ نَحْنُ نُرْضِعُهُ. قَالَ الله تعالى[1]: «أَنَا أَوْلَى بِحَبِيبِي وَنَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنِّي قَدْ كَتبتُ أَنْ لا تُرضِعَهُ إلا أُمَتي حَلِيمَة».

عَـطّـرِ الـلّـهُـمَّ قَـبْـرَهُ الـكَـرِيـمْ
بِـعَـرْفِ شَـذِيّ مِـنْ صَـلَاةٍ وَتَـسْـلِـيـمْ

(١) هذا ليس من القرءان.

قِصَّةُ رَضَاعِهِ ﷺ

وَالمُلخَّصُ مِن حدِيثِ الرّضَاعِ الفَرْدِ أنَّ القحْطَ لمَّا عَمَّ بَني سعْدٍ فَصارَ حَظُّهُمْ بِمَزِيدِ القَحْطِ ناقصًا وَضَرْعُهُمْ بِمَزِيدِ الجَدْبِ قَالِصًا، وَجَلِيلُهُمْ حَقِيرًا وَغَنِيُّهُمْ فَقِيرًا، فَارْتَحَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى مَكَّةَ لِبِضَاعَةِ الرَّضَاعَة، ومَعَهُم حَلِيمةُ مَعَ زَوْجِهَا الحَارِثِ بنِ رِفَاعَة، وَكَانَتْ عَلَى أَتَانٍ مُقَصّرَةٍ مِنَ الجَهْدِ مَرَّةً، ومعها شَاةٌ مَا تَبِضُّ مِنَ الحَلِيب بِقَطْرَةٍ، وَصَبِيٌّ لَهَا مِنْ حَلِيبِ أمّهِ عَدِيمٌ، وَهُوَ رَضيعٌ وَلكنّهُ منَ العُدْم فَطِيمٌ، لا يَجِدَانِ شَيْئًا لِغِذَائِهِ، وَلا يَنَامانِ اللّيْلَ لِبُكَائِهِ، فَلَمَّا تَفَرَّقُوا فِي مَكَّةَ حينَ دَخَلُوا إليها لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ إلا وَعُرِضَ ﷺ عليها لَكنْ لِعَدَم سَعْدِهَا تأبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا تَوَفَّى الله أَبَاهُ. وَلَمَّا عُرِضَ عَلَى حَلِيمَةَ بَهَرَتْهَا أَنْوَارُهُ العَظِيمَةُ وَشَغَلَتْهَا طَلْعَتُهُ البَارِعَة فِي الجَمَالِ وَمَلَكَهَا حُسْنُهُ

المُطْلَقُ فِي الحَالِ، لَكِنْ لَمَّا ذُكِرَ لَهَا يُتْمُهُ خَطَرَ لَهَا مَا تَصْنَعُ لنا أُمُّهُ، فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَنَفَرَتْ وَتَوَلَّتْ، وَإِلَيْهِ نَظَرَتْ، فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ مُحَيَّرَةً، وَفِي الأَخْذِ وَعَدَمِهِ مُفَكِّرَةً، ثُمَّ دَارَتْ على غَيْرِهِ فَلَمْ تَرَ مَنْ تَضُمُّهُ إِلَيْهَا فَقَوِيَ أَسْعَدُ الخَاطِرَيْنِ عَلَيْهَا، وَفَاجَأَهَا الخَاطِرُ الأَسْعَدُ، أَنْ تَمَلَّى لِجَمَالِ الحَبِيبِ أَحْمَد، فَشَاوَرَتْ زَوْجَهَا أَنْ تَأْخُذَهُ أَوْ تَكُونَ مِمَّنْ تَتْرُكَهُ، فَأَشَارَ بِأَخْذِهِ وَقَالَ: عَسَى أَنْ تَكُونَ فيه بركَةٌ، فَأَخَذَتْهُ فَسَعِدَتْ بِأَخْذِهِ، ثُمَّ لَم تَسْمَحْ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَدِّهِ، ثُمَّ إِنَّهَا عَادَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ وَخَاطِرُهَا قَدْ سكن، وأَقْبَل عَلَيْهِ ثَدْيَاهَا بِمَا شَاءَ الله مِنَ اللَّبَنِ، وَشَرِبَ مِنَ اللَّبَنِ حَتَّى تَرَكَهُ مِنَ الشِّبَعِ، فأَدَارَتْهُ إِلَى ثَدْيِهَا الأَيْسَرِ فَامْتَنَعَ إِلْهَامًا مِنَ الله تَعَالَى، وَتحريكًا كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ له في ذَلِكَ شَرِيكًا فَظَهرَ مِنْهُ حِينَئِذٍ الإِنْصَافُ وَالفَضْلُ،

لأَنَّهُ ﷺ جُبِلَ عَلَى الإِحْسَانِ وَالعَدْلِ، فكانَ الأَيْمَنُ يَكْفِيهِ وَالثَّدْيُ الأَيْسَرُ لأَخِيهِ، فَفِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ أَخْذِ البَشِيرِ النَّذِيرِ قَامَ زَوْجُ حَلِيمَةَ إِلَى الشَّاةِ فَإِذَا بِهَا لَبَنٌ كَثِيرٌ فَحَلَبَ مِنْهَا مَا كَفَاهُمَا شَرَابًا، وَبَرَّدَ مِنْ جُوعِهِمَا التِهَابًا وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَصَلَ لأَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَكْفِيهِ فَقَرَّتْ بِنَوْمِهِ عَيْنُ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، فَنَامَا أَهْنَأَ نَوْمٍ وَحَصَلَ لَهَا مَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْقَوْمِ مِنَ الخَيْرَاتِ التي أَصْبَحَتْ فِيهَا حَلِيمَةُ غيرَ مُشَارَكَةٍ، فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا إِنِّي لأَرْجُو أَنَّكِ قَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً، فَلَمَّا وَصَلَتْ بِهِ إِلَى المَنَازِلِ حَلِيمَة، فَتَحَ الله عَلَيْهَا خَيْرَاتٍ جَسِيمَة، فَتَقَدَّمَتْ أَتَانُهَا عَلَى الدَّوَابّ حَتَّى مَا يَلْحَقهَا بَهِيمَة. وَحِينَ قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي سَعْدٍ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، وَأَخْصَبَتْ بعْدَ أَنْ أَجْدَبَتْ، وَكَثُرَتْ مَواشِي حَلِيمَةَ وَنَمَتْ، وَارْتَفَعَ قَدْرُهَا وَسَمَتْ، وَلَمْ

تَزَلْ بِبَرَكَتِهِ تَغْرِفُ الخَيْرَ وَالسَّعَادَة وَتَفُوزُ بِالحُسْنَى وَزِيَادة، كَمَا قِيل فِيهَا شِعْرٌ:

لَقَدْ بَلَغَتْ بِالهَاشِمِيّ حَلِيمَةٌ
مَقَامًا عَلِيًا فِي ذُرَى العِزّ وَالمَجْدِ
وَزَادتْ مَوَاشِيهَا وَأَخْصَبَ رَبْعُهَا
وقَدْ عَمَّ هَذَا السَّعْدُ كُلَّ بَنِي سَعْدِ

فَصَارَ ﷺ يَخْرُجُ هُوَ وَأخوهُ إِلى المَرْعَى وَعِنايَة الله إِياهُ تَرْعَى، إِذ جَاءَهُ فِي بَعْض الأَيام، جِبرِيلُ وَمَعَهُ ميكائيل فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّا بَطْنَهُ الكَرِيمَ كَمَا وَرَدَ، وَغسَّلاهُ بِمَاءِ زَمْزَم والثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَخَاطَاهُ بِإِذْن ذي الإِكْرَام والجَلالِ، وَخَتَمَا على ظَهْرِهِ بِخَاتَم النّبوةِ في الحالِ، فَخَافَ أخوهُ عَليه فَأَتَى إِلَى أمّهِ وقدْ سَقَطَ في يَدَيْهَا وأَخْبَرَهَا بِخَبَرِ الرسولِ والملائِكةِ فخافتْ عليه حَليمةُ بَعْدَ ذَلكَ وَأَعَادَتْهُ إِلى أمّهِ وَسَلَّمَتْهُ إِلَيْهَا، وَقَصَّتْ مَا

جَرَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا، فَقَالَتْ: مَا عَلَى ابنِي مِنْ بأسٍ فإن الله يحفظهُ مِنَ الجِنّ والإِنْسِ، فَلما رَدَّته حليمةُ إِلَى الوَطَن، جَهَّزَتْهَا أُمُّهُ بِجِهازٍ حَسَن، وانصرَفَتْ بِجَفْنٍ مِنَ الفِرَاقِ قَرِيحٍ، وَقَلْبٍ من الاشتياقِ جَرِيحٍ، وخاطرُها بالحبيبِ مشغول، ولسانُ حالِها يُنشدُ وَيقول:

يا دَائِمَ الفَضْلِ والإِحْسَانِ للنَّسم
يَا دائِمَ البِرِ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ ذُكِرَا
قَدْ أَظْهَرَ الدَّمْعُ مِنّي الآن مَا سُتِرَا
وَإِنْ تُرِدْ شَرْحَ حَالِي فِيهِمُ سَتَرَا
مُتَيَّمًا طَارَ نَوْمي وَالهُمُومُ غَدَتْ
رَبيعَ قلبي وَرَبْعُ الأُنس قَد صفرا
في مُنْحَنَى أَضْلُعي نار الغَضَا وقدَتْ
ودمعُ عَيْني عَلَى الخَدَّيْنِ مِنه جَرَا
لا أَوْحَشَ الله مِمَّنْ بِالحَشَا نَزَلُوا
سَارُوا فَشوقي مقيمٌ وَالسُّرورُ سَرَا

طَوَيْتُ سِرَّ الهَوَى صَوْنًا لحبهِمُ
واليومُ بالدَّمْعِ كَانَ الطَّيُّ قَدْ نشرا
غَابُوا فَأَمْسَى جَمِيلُ الصَّبْرِ مُنْفَلِتًا
فَأَضْبَحَ الدَّمْعُ فِي الأَطْلَالِ مُنْحَدرا
سَارُوا فَسَارَتْ عيوني إثْر عِيسهِمُ
واليومَ قَدْ صِرت لا عَينًا ولا أَثَرا
أَسْتَوْدِعُ الله فِي ذَاكَ الحِمَى قَمَرًا
بِحُسْنِهِ لِقُلوبِ النَّاسِ قَدْ قَمرا
رَمَى فَأَرْمَى جِمَارَ الشَّوْقِ فِي كَبِدِي
وَللوَدَاعِ وَقَفْنَا وَالكَرَى نفرَا
تَبَارَكَ الله مَا أَجْلاهُ مِنْ قَمرٍ
بِنُورِ طلْعَتِهِ قَدْ حَيَّرَ الشُّعَرَا
تُرَى تَعُودُ لَيالِي الوَصْل تَجْمَعُنَا
وَيَبْلُغُ الصَّبُّ مِنْ أَحْبابِهِ وَطَرَا
يَا قَلْبُ هَذا الذي قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهُ
صَبْرًا عَلَى مَا قَضَى طَوْعًا لِمَا أَمَرَا

وَفَارَقَتْهُ حَلِيمَة، وأَحْشاؤُهَا بسيْفِ الشَّوق كَلِيمة، وَأَقَامَ بين قومِهِ وأَهْلِهِ وكل وقت يزيدُ الله في فضلِهِ وظهرَ له من الكراماتِ مَا لا يُحْصَى، ومن المحاسن مَا لا يُحْصَرُ اسْتقْصَا، ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّهُ ءامِنَةُ وَعُمْرُهُ ﷺ خَمْسُ سِنِين وَقَدْ قَارَبَتْ عِشْرينَ سَنَةً.

قيل كانَ رجلٌ بالبَصْرَةِ يَصْنَعُ مَوْلِدًا للنبي ﷺ في كلّ سَنَةٍ وكان إلى جانبِهِ رجلٌ يهودي فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ: مَا بَالُ جَارِنا المُسْلِم يُذْهِبُ فِي كُلّ سَنَةٍ في مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ مَالًا كَثِيرًا فَقَالَ لَهَا: يَزْعمُ أَنّ نَبِيَّهُ وُلِدَ فِيهِ، فَلَمّا نَامَتْ تِلْكَ اللَيْلَة رَأَتْ رَجُلًا عَلَيْهِ جَلَالَةٌ وَوَقَارٌ وَهَيْبَةٌ وَأَنْوَارٌ، وَهُوَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ يَتَبَخْتَرُ كَأَنَّهُ القَمَرُ، فَقَالَتْ لأَحَدِهِمْ: مَنْ هَذَا الكَثِيرُ الأَنْوَار؟ قَالَ: هَذَا النَّبِيُّ العَرَبِيُّ المُخْتَار قَالَتْ: أَيُكَلّمُنِي إِذَا كَلَّمْتُهُ؟ قَالُوا لَهَا: إِنَّهُ لَيْسَ بِمُتَكَبّر وَلا مُتَجَبّر، فَقَالَتِ اليَهُودِية: يَا مُحَمَّدُ - ﷺ - فَأَجَابَهَا بِعُذُوبَةٍ وَبِقَوْلٍ لَيّنٍ، فَقَالَتْ: تَقُولُ لِمِثْلِي هَذَا القَوْلَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ دِيْنِكَ، فَقَالَ لَهَا: مَا قُلْتُ لَكِ ذَاكَ إِلا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الله قَدْ كَتَبَ لَكِ أَنْ تَهْتَدِي، فَقَالَتْ: إِنَّكَ لَنَبِيٌّ كَرِيمٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم وأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ

الله ثُمَّ نَذَرَتْ فِي نَفْسِهَا أَنها إِذَا أَصْبَحَتْ تَتَصَدَّقُ بِجَمِيعِ ما تَمْلِكُهُ فَرَحًا بِإِسْلَامِهَا وَتَصْنَعُ مَوْلِدًا لِلنَّبِيّ ﷺ، فلما اسْتَيقَظَتْ مِنْ مَنَامِهَا تَشهّدتْ قَالَتْ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ثم رَأَتْ زَوْجَهَا قَدْ هَيَّأَ الوَلِيمَةَ وَهُوَ فِي هِمَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَتْ: أَرَاكَ فِي هِمَّةٍ صَالِحَةٍ، فَقَالَ: مِنْ أَجْلِ الذي أسلمت عَلَى سَبَبِهِ البَارِحَةَ، قَالَتْ: مَنْ كَشَفَ لَكَ عَنْ هَذَا السّرّ وَأَطْلَعَكَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: الذي أسلمتُ بَعْدَكِ البَارِحَةَ عَلَى سَبَبِهِ وَأَنْشَدَ لِسَانُ الحَالِ:

لا إِلَـٰهَ إلا الله
لا إِلَـٰهَ إلا الله
لا إِلَـٰهَ إلا الله
لا إِلَـٰهَ إلا الله
محمد رسول الله

إنْ صَحَّ مِنْكَ الرِّضَا يَا مَنْ هُوَ الطَّلَب
فَلَا أُبَالِي بِكُلِّ النَّاسِ إنْ غَضِبُوا
وَإنْ تَبَدَّا مَحَيَّاكَ الجَمِيلُ فَدَعْ
كلَّ الخَلَائِقِ عَنْ عَيْنَيَّ يَحْتَجِبُ
قَصْدِيْ رِضَاكَ مِنَ الدُّنيا بِأَجْمَعِهَا
يَا مَنْ إلَيْهِ جَميعُ الحُسنِ يَنتسِبُ
كَيْفَ التَّصَبُّرُ وَالسُّلْوَانُ عَنْ قَمَرٍ
مُوَافِقي فِي هَوَاهُ العُجْمُ وَالعَرَبُ

الحَمْدُ لله رَبِّ العالمينَ وَأفضلُ الصلاةِ والسَّلام عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الذي جَاءَ بِالحَقِّ المُبين، مَنْ أَرْسَلَهُ الله رَحْمَةً لِلْعَالَمِين، وَعَلَى إِخْوَانِهِ الأَنْبياءِ وَالمُرْسلين، اللهمَّ إِنَّا قَدْ حَضَرْنا قراءَةَ مولدِ نبيِّكَ الكَرِيم، فَأَفضْ عَلَينَا بِبَرَكَتِهِ خلع القَبُولِ وَالتَّكْرِيم، وَأَسْكِنَّا بِجوارِهِ في جنّاتِ النَّعِيم، وَاسْقِنَا مِنْ حَوْضِهِ يَوْمَ العَطَشِ الأكْبرِ، وَالهَوْلِ العَظِيم، وَمَتِّعْنَا في الآخِرَةِ بِالنَّظَرِ إِلى ذَاتِكَ الكَرِيم، نسألكَ إِلهَنَا أنْ تُكَفِّرَ عَنَّا الذنوبَ وَالأَوْزَارَ، وَتَحْرُسَنا مِنْ سَيِّءِ المَخَاوِفِ والأَخطار، وتَقَبَّل مِنا مَا قدَّمْنَاه مِنْ صَالِح الأَعْمَالِ في السّرّ وَالإِجْهَار، اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحومًا، وَتَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مُبَارَكًا مَعْصُومًا، وَهَبْ مُسيئَنَا لِمُحْسِنِنَا وَمُقَصّرَنَا لِعَامِلِنَا ولا تَحْرِمْنَا خَيْرَ ما عندَكَ بِشَرّ مَا عندنَا، اللهمَّ اجزِ مَنِ

اجْتَمَعْنَا بِسَبَبِهِ مَزِيدَ بِرّك وإِحْسَانِكَ، واجْمَع لَهُ بَيْنَ خَيْرَي الدُّنْيَا وَالآخرة، اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى كُلّ حَال وَصَلّ يَا رَبّ وَسَلّم عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلينَ سُبْحَانَ رَبّكَ رَبّ العِزَّةِ عَمَّا يصفونَ وَسَلامٌ على المُرسلينَ والحمدُ لله رَبّ العَالَمِين.

فَائِدَةٌ

فيها بَيَانُ أَنَّ عَمَلَ المَوْلِدِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ ليس بِدْعَةً ضَلالَةً لأنَّ البِدْعَةَ الضلالة هي التي أُحْدِثَتْ على خِلَافِ شريعة النبي ﷺ، وأما ما أُحْدِثَ على وفاقه فليس ضلالا. ويُمَيّزُ البدعةَ الحسنةَ من البدعةِ السيئة أهلُ العلم فما استحسَنه العلماءُ فهو حَسَنٌ عندَ الله وَمَا اسْتَقْبَحُوهُ فهو قبيحٌ عندَ الله. روى مسلمٌ[1] في الصحيح عن جَرير بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سَنَّ في الإسلام سُنَةً حسنة فَلَهُ أَجْرُها وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها بعدَه من غير أن ينقصَ من أُجورِهِمْ شيءٌ ومن سَنَّ في الإسلَام سنةً سَيّئةً كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها**

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. وكتاب العلم: باب من سن في الإسلام سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

من بعده من غير أن يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شيء»

وَقَد ذَكَرَ الحَافِظُ السَّخَاوِيُّ في فَتَاوِيه أن عَمَلَ المَوْلِدِ حَدَثَ بَعْدَ القرونِ الثَلاثَةِ ثم لا زَالَ أهلُ الإسلام من سائِرِ الأَقْطَارِ في المُدُنِ الكِبَارِ يَعْمَلُونَ المَوْلِدَ وَيَتَصَدَّقونَ في لياليه بأنواع الصَّدَقاتِ. ويَعْتَنونَ بِقراءَةِ مَوْلِدِهِ الكريم وَيَظْهَرُ عليهم من بركاته كلُّ فضلٍ عَميم. وذكرَ العلامةُ شَهَابُ الدين أحمدُ المَقرِيّ في كتابِه «نَفْح الطّيب» أنَّ السُّلْطَانَ أبا حمو موسى صاحبَ تلمسانَ في القرنِ الثامنِ الهجري كان يَحْتَفِلُ لَيْلَةَ مَوْلِدِ رسول الله ﷺ غايةَ الاحتفالِ كما كان ملوكُ المَغْرِبِ والأَنْدَلُسِ في ذلك العَصْرِ وما قَبْلَهُ، وذكرَ الحافَظُ أبو عبدِ الله التِّنِّسِيّ أنه كان يُقيمُ ليلةَ المولِدِ النبوي اجتِمَاعًا يَجْتَمِعُ إليهِ الناسُ خاصَّةً وعامةً، وللحافظِ السّيوطيّ رسالةٌ سمَّاها «حُسْنَ

المَقْصِدِ في عملِ المولدِ»، قال: «قد وَقَعَ السُّؤالُ عن عملِ المولِدِ النبوي في شهر ربيعِ الأولِ ما حُكْمُهُ مِنْ حيث الشرعُ وهَلْ هو مَحمودٌ أمْ مذمومٌ؟ فالجَوابُ عندي أن أصلَ عملِ المولِد الذي هو اجتماعُ الناسِ وقراءةُ ما تيسَّرَ من القرءانِ وروايةُ الأخْبارِ الواردة في مبدإِ أمرِ النبي ﷺ وما وقعَ في مولدِهِ من الآياتِ ثم يُمدُّ لَهُمْ سِماطٌ فيأكُلونَهُ ويَنْصَرِفونَ من غير زيادةٍ على ذلك من البِدَعِ الحَسَنَةِ التي يُثَابُ عليها صَاحِبُها لما فيه من تعظيم قَدْرِ النبي ﷺ وإظهارِ الفَرَحِ والاستبشارِ بمولدِهِ الشريفِ ﷺ، وأولُ من أحدثَ ذلك الفعلَ صاحبُ إربل الملكُ المظفرُ أبو سعيد كوكَبري بنُ زين الدين علي بنِ بكتكينَ أحدُ الملوكِ الأمجادِ والكبراءِ الأجواد، وكان له ءاثارٌ حسنة، وهو الذي عمّر الجامعَ المظفريَّ بسفحِ قاسيون» اهـ.

قال الحافظ ابن كثير[1] في تاريخه: «كان يعمل المولد الشريف ـ يعني الملك المظفر ـ في ربيعٍ الأولِ ويحتفلُ به احتفالا هائلاً، وكان شهمًا شجاعًا بطلاً عاقلاً عالمًا عادلا رحمه الله وأكرم مثواه. قال: وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب ابنُ دحيةَ مجلدًا في المولد النبوي سماه: التنوير في مولد البشير النذير، فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدتُه في الملك إلى أن ماتَ وهو يحاصرُ الفرنجَ بمدينةِ عكا سنةَ ثلاثين وستمائة محمودَ السيرة والسريرة» اهـ.

وقال ابن خَلكان[2] في ترجمة الحافظ أبي الخطابِ بن دحية: «من أعيان العلماءِ ومشاهيرِ الفضلاء، قدمَ من المغربِ فدخل

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٣٦).
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٩).

الشامَ والعراقَ واجتازَ بإربل سنةَ أربعٍ وستمائة فوجد ملكها المعظّم مظفرَ الدين بنَ زين الدين يعتني بالمولد النبوي، فعمل كتابَ «التنوير في مولد البشير النذير» وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار» اهـ. قال السيوطيُّ وقد سئلَ شيخُ الإسلام حافظُ العصر أبو الفضل بنُ حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه: «أصلُ عملِ المولدِ بدعةٌ لم تنقل عن أحدٍ من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكن مع ذلك اشتملت على محاسنَ وضدّها، من جرد في عمله المحاسن وتجنبَ ضدّها كان بدعةً حسنة ومن لا فلا، وقد ظهرَ لي تخريجُها على أصلٍ ثابتٍ وهو ما ثبتَ في الصحيحين[1] من أن النبي ﷺ قدمَ المدينةَ

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء. صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء.

فوجدَ اليهودَ يصومونَ يومَ عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يومٌ أَغرقَ الله فيه فرعونَ ونجَّى موسى فنحن نصومُه شكرًا لله تعالى، فقال ﷺ: «**نحنُ أولى بموسى منكم**» فيستفادُ منه فعلُ الشكرِ لله على ما منَّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة أو دفعِ نِقمة ويُعادُ ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكرُ لله يحصل بأنواع العبادة كالسجودِ والصيامِ والصدقةِ والتلاوةِ، وأيُّ نعمة أعظمُ من بروز هذا النبيّ نبيّ الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا ينبغي أن يتحرّى اليوم بعينه حتى يُطابق قصَّةَ موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولدِ في أي يوم من الشهرِ بل توسّعَ قومٌ فنقلوه إلى أيّ يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما تعلق بأصلِ عمله وما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما

تقدم ذكره من التلاوةِ والإطعامِ وإنشادِ شيءٍ من المدائحِ النبويةِ الزهديةِ المحركةِ للقلوبِ إلى فعلِ الخيرِ والعملِ للآخرة» اهـ.

ثم ليعلم المطالعونَ لهذا المولدِ وغيرهِ أن أغلبَ الأحاديث المتعلقة بقصة المولد ليست صحيحةَ الأسانيد إذ لا يصحُّ منها إلا القليل وما سواه ضعيف، وقد قال العلماء يجوز روايةُ الحديث الضعيف في الفضائل وقالوا يعمل به إلا في العقائد والأحكام.

وهناك كتبٌ أُلفت في المولد فيها الكذب الصريح المفترى منها كتاب نسب إلى ابن حجر وليس له، وكتاب نسب إلى ابن الجوزي وليس له وهو المسمى مولد العروس فيجب اجتناب هذين وما أشبههما. والله سبحانه وتعالى أعلم.